الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

د. سمية بنت علي بن محمد السلطان

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

SALsultan@imamu.edu.sa

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث الآيات التي ورد فيها الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، ويهدف إلى إظهار مكانة ملة إبراهيم عليه السلام، وعلاقتها بملة نبينا محمد ﷺ، وبيان بعض الخصال والخصائص التي لأجلها أُمِرَ الناس باتباعها، وهدي القرآن في الاحتجاج بها على أهل الكتاب في وجوب إتباعهم ملة محمد ﷺ، وقد سلك هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وخرج بنتائج أهمها: أنه ورد الأمر بملة إبراهيم في ثمان آيات، وقد خوطب به جميع الناس من بعد إبراهيم عليه السلام. وأن الله اختص الله إبراهيم بخير الملل لأنه جعله إماما لمن بعد إلى قيام الساعة. وأن النبي ﷺ كان متعبدا بشريعة من كان قبله من الأنبياء، إلا ما ورد الدليل على نسخه وهذا ما عليه أهل السنة. وأنه لا يعني أَمْرُ النبي ﷺ باتباعها أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه قام بهذه الملة قياما عظيما وأُكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إليه، وزاد عليها أنواعا من الهدى لم تكن في شرع إبراهيم عليه السلام، وأن الله قسم الناس إلى سفيه لا أسفه منه ورشيد، فالسفيه: من رغب عن ملة إبراهيم إلى الشرك، والرشيد: من اتبعها وتبرأ من الشرك.

الكلمات المفتاحية: الأمر– اتباع – ملة – إبراهيم عليه السلام

The Command to follow the Religion of Abraham Puh In Quran An Interpretive study

Dr. Sumaia Ali Muhammad Al-Sultan
An Assistant Professor in the Department of Quran an its Sciences
Imam Muhammad bin Saud Islamic University
SALsultan@imamu.edu.sa

Abstract

The research is studying the verses that mentioned the command to follow the religion of Abraham Puh ، and aims to show the status of the religion of Abraham Puh and its relationship with the religion of our Prophet Muhammad peace be upon him، explains some qualities and characteristics that people were commanded to follow it، and guides Quran to use it as evidence against the people of the scripture who must command to follow the religion of our Prophet Muhammad peace be upon him. The research used the inductive and analytical method، and included some results as follows: The command to follow the religion of Abraham comes in eight verses for all people after him. And that Allah appertains Abraham puh with the good religion by making him Imam for all people after him to the Day of Resurrection. And that Our Prophet Muhammad peace be upon him worshiped the law of the prophets before him، expect that was abrogated from it، and this Sunnis believe.

Keyword: command / follow / religion / Abraham

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد أخبر الله في كتابه عما ميز به عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، وما خصه به من فضائل عالية ومناقب كاملة جعلته إماماً يقتدى به ويهتدى بهديه وطريقته، واختار له خير الملل، الحنيفية السمحة التي اتفقت عليها جميع الأمم، ثم أمَرَ خاتم الرسل وسيدهم محمداً ﷺ وأمته باتباعها تشريفا للتابع والمتبوع عليهما الصلاة والسلام، لذلك رغبت بدراسة الآيات التي أمَرَ الله فيها باتباع ملته وما تضمنته من مدح من رغب فيها وذم من رغب عنها، والخصائص التي لأجلها أمر الله باتباع ملته عليه السلام ، وجعلت عنوانها: (الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دراسة تفسيرية) فأسأل الله العون والسداد والتوفيق والهدى والرشاد.

أهداف البحث:

١- حصر المواضع التي ورد فيها الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام في القرآن ودراستها دراسة تفسيرية.

٢- إظهار مكانة ملة إبراهيم عليه السلام عند الله، وعلاقتها بملة نبينا محمد ﷺ.

٣- إبراز بعض الخصال والخصائص التي لأجلها أُمِرَ الناس باتباعها.

٤- بيان هدي القرآن في الاحتجاج على أهل الكتاب بما يعتقدونه من وجوب اتباع ملة إبراهيم عليه السلام، على وجوب اتباعهم لمحمد ﷺ ؛ لأن ملته هي ملة إبراهيم عليه السلام.

٥- تنبيه الباحثين في الدراسات القرآنية إلى ضرورة دراسة الجوانب العقدية في أخبار الأنبياء وفق أصول أهل السنة لتقريرها ودعوة المخالفين لها وفق الهدي القرآني.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في قواعد البيانات المتاحة لم أقف على دراسة تفسيرية تحليلية لموضوع هذا البحث، وإنما وقفت على دراسات قريبة منه، وهي:

١- الملة في القرآن الكريم، دراسة في المفهوم والأنواع، أ. محمد أكرت بن عبد القادر، مجلة تدبر، ع ١٣، مج٧، ٢٠٢٢م

٢- ملة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، م.م. قاسم عدنان صالح، جامعة كركوك، كلية الآداب، مجلة الجامعة العراقية، ع ٥٥،ج٢، ٢٠٢٢م.

٣- ملة إبراهيم عليه السلام بين اليهودية والإسلام، دراسة مقارنة في أسفار العهد القديم والقرآن الكريم، عيسى حسين، ورحمة عثمان محمد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠٠٧م.

وتختلف دراستي عنها بالآتي:

١- اقتصارها على الآيات التي ورد فيها الأمر بملة إبراهيم عليه السلام في القرآن.

٢- دراسة هذه الآيات دراسة تفسيرية تحليلية، مع ربطها بالسياق الذي وردت فيه.

٣- استخراج خصال وخصائص ملة إبراهيم المذكورة في الآيات، التي بسببها أُمِرَ الناس باتباعها.

خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه والدراسات السابقة، وخطته ومنهجه.

التمهيد: وفيه التعريف بملة إبراهيم.

المبحث الأول: أَمْرُ النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: أَمْرُ النبي ﷺ بإعلان اتباعه ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: الإخبار بأنها ملة الأنبياء من بعد إبراهيم عليه السلام.

المبحث الرابع: أَمْرُ المؤمنين باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الخامس: أَمْرُ بني إسرائيل باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث السادس: مدح المخلص المنقاد المتبع ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث السابع: ذم من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثامن: الحكم بالهدى لمن اتبع ملة إبراهيم وبالشقاق لمن تولى عنها.

منهج البحث:

سلك هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

التمهيد

التعريف بملة إبراهيم

الملة في اللغة: بكسر الميم وفتح اللام وتشديدها هي: النحلة التي ينتحلها الإنسان من الدين[١]، وتطلق في اللغة على معان، منها:

– الدين: كملة الإسلام، وملة النصرانية، وملة اليهودية[٢]، ومنه قول النبي ﷺ: ((لا يتوارث أهل ملتين شتى))[٣]، وسمي الدين ملة: لأنه يُمل، أي: يملى على المدعو إليه، وأملَّ وأملى بمعنى واحد[٤]، والدين والملة والإسلام، واحد من وجه، لكن يقال باعتبارات مختلفة، فإن الدين: هو الانقياد للحق وذلك معتبر بالعبد، والملة: القود إلى الحق من أمللت عليه الكتاب، وذلك معتبر بالله تعالى، والإسلام: يقال للإسلام الحق، والدخول في السلم والسلامة من جهة الله تعالى[٥].

وجاء إطلاقها في القرآن على الدين الحق كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:١٦١].

[الأنعام:١٦١]، وعلى الدين الباطل كقول يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٣٧]، إلا أن الإسلام ملة واحدة عليها جميع الأنبياء عليهم السلام تقابلها ملة الكفر فهو باعتبار مضادة الإسلام ملة واحدة، أما باعتبار أنواعه فإنه ملل: اليهودية ملة، والنصرانية ملة، والبوذية ملة،

---

(١) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/١٦٨).

(٢) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (٥ /١٨٢١).

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده برقم٦٦٦٤، وإسناده حسن، انظر: تحقيق المسند طبعة الرسالة (١١/٢٤٥).

(٤) انظر: البسيط للواحدي (٣/٢٨٥)، والمفردات(ص٧٧٣).

(٥) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/١٧٢).

وهكذا بقية الملل؛ ولكن كل هذه الملل باعتبار مضادة الإسلام تعتبر ملة واحدة؛ لأنه يصدق عليها اسم الكفر؛ فتكون جنساً، والملل أنواعاً[٦].

السنة والطريقة: وهذا المعنى مأخوذ من قول العرب: طريق مُمَل، أي: مسلوك حتى صار معلما[٧]، ومن هذا الملَّة أي الموضع الذي يختبز فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق، ومنه مِلَّة رسول الله ﷺ: أي الأمر الذي أوضحه، والطريقة، والسنة[٨].

فالمِلَّة تطلق ويراد بها الدين وتطلق ويراد بها السنة والطريقة المسلوكة،

قال الزجاج: «وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض»[٩].

وقد اختصت هذه اللفظة بالشرائع والدين، فهي اسم لما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به إلى آجل ثوابه[١٠]، وهي مجموعة أقوال وأفعال واعتقادات ودخول الأعمال في الملة كدخول الإيمان، فالملة هي الفطرة وهي الدين[١١].

قال القصاب: «الملة والإيمان والإسلام، والدين والشريعة والصراط والمنهاج أسامي تجمع المرتضى من دين الله الذي اختاره لنفسه ودعا إليه عباده، وينوب بعضها عن بعض، ويقع على أجزائه التي لا يستغني بعضها عن بعض»[١٢] .

والمراد بملة إبراهيم: هي دين إبراهيم الذي ارتضاه الله واجتباه وأمَرَ نبيَّه محمداً ﷺ باتباعه[١٣]، ولم يؤمر باتباع

---

(٦) انظر: تفسير العثيمين (٢٨٩/١).

(٧) انظر: العين (٣٢٤/٨)، ومقاييس اللغة(٢٧٥/٥).

(٨) انظر: تهذيب اللغة للهروي (٢٥٢/١٥).

(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢٠٢/١).

(١٠) انظر: الكليات للكفوي (ص٤٤٣).

(١١) انظر: تحفة المودود لابن القيم (ص٢٥٨).

(١٢) النكت الدالة على البيان (١٤١/١).

(١٣) انظر: تفسير الطبري(٥٨٩/٢).

ملة أحد من الأنبياء غيره، وهي الإسلام[١٤]، وهي الحنيفية السمحة، التي أَمَرَ الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي خير الملل، وأصل شريعة التوراة والإنجيل والقرآن، ولم يأت نبي بأكمل ولا أبين ولا أوضح ولا أتم منها [١٥]، وقد أَمَرَ الله بمتابعة إبراهيم عليه السلام في توحيده وأقواله وأفعاله[١٦]، وورد الأمر باتباع ملته في القرآن في ثمانية مواضع وهي محل دراسة هذا البحث.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل (٤٩٢/٢)، وتفسير الطبري (٣٩٨/١٤).

(١٥)انظر: مجموع الفتاوى(٧٣/١٠)، والداء والدواء(٣١٣/١)، وتفسير ابن كثير(٧٧/٢).

(١٦) انظر: تحفة المودود(ص٢٥٨).

المبحث الأول

أمْرُ النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام

أَمَرَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ باتباع ملة إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام بعد أن أثنى عليه بصفات جليلة هي أعلى درجات تحقيق التوحيد[١٧]، والعبودية التامة لله، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣]. وقد اختصه الله بفضائل جمعت خصال الخير والإمامة والقدوة الصالحة ترغيباً في اتباعه والاقتداء به، لذلك أمَرَ الله نبيَّه محمداً ﷺ باتباعه خصوصاً، وقد ورد منها في هذه الآيات ست خصال، وهي:

١. قوله: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ (أمة) خبر أول لكان، أي: مُعلماً، وإماماً يأتم به أهل الهدى، ويقتدون به في الخير[١٨]، ويتبعون سنته وملته. قال قتادة: «ليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه»[١٩]، كما أنه اجتمعت فيه من الخصال الحميدة، وصفات الكمال، والأخلاق، والعلم والعمل ما يجتمع في أمة، فباين غيره باجتماعها فيه وتفرقها أو عدمها في غيره[٢٠]، وما كان عليه السلام كذلك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين بهما تنال الإمامة في الدين[٢١].

٢. قوله: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: خبر ثان لكان، وأصل القنوت الطاعة لله، ثم يستعمل في كل ما أطاع به العبد

---

(١٧) انظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله(ص٧٤).

(١٨) انظر: تفسير يحي بن سلام (٩٧/١)، وتفسير الطبري(٣٩٢/١٤).

(١٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٦/١٤) .

(٢٠) انظر: تفسير الثعلبي(١٥٢/١٦)، ومفتاح دار السعادة (١٧٤/١).

(٢١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٧٤) .

ربه[٢٢]، وفسر بأشياء كلها ترجع إلى معنى دوام الطاعة[٢٣]، فمعناه هنا: مطيعاً لله[٢٤]، خاشعاً خاضعاً[٢٥]، قائماً بأوامر الله تعالى[٢٦]، دائم الطاعة[٢٧].

٣. قوله:﴿حَنِيفًا﴾ خبر ثالث لكان، والحنيف: المستقيم من كل شيء، ويقال للرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى: أحنف، تفاؤلا له بالسلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد: المفازة، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للديغ: السليم، تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك[٢٨]، قال ابن القيم: «الحنيف المقبل على الله ويلزم هذا المعنى ميله عما سواه فالميل لازم معنى الحنيف لا أنه موضوعه لغة»[٢٩]، فمعناه: مخلصاً[٣٠]، مستقيماً على دين الإسلام[٣١]، مقبلاً على الله، مائلاً قصداً عن الشرك إلى التوحيد، أي تاركاً له عن بصيرة، ومقبلاً على الحق بكليَّته، لا يصده عنه صاد، ولا يرده عنه راد، ولهذا قال بعدها: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٣٢]، فإنه حين بعث إبراهيم كان الشرك قد طبق الأرض، وامتلأت بعبادة الكواكب العلوية والأصنام السفلية، فأظهر التوحيد ودعا إليه، وعادى الشرك وأهله، ونصره الله على

(٢٢) انظر: تفسير الطبري (٣٨٣/٤)، والمجموع المغيث لأبي موسى المديني (٧٥٤/٢)، بدائع الفوائد(١٤١/١).

(٢٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١٧٤/١).

(٢٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام(٩٧/١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٨٢)، وتفسير البغوي(٥٠/٥).

(٢٥) انظر: تفسير الطبري(٣٨٣/٤)، ومجموع الفتاوى(٣٧٤/٢٢)، وتفسير السعدي(ص١٣٠).

(٢٦) انظر: تفسير البغوي(٥٠/٥)، ومجموع رسائل الحافظ العلائي(ص٦٠).

(٢٧) انظر: تفسير السمعاني(٢٠٩/٣)، ومجموع الفتاوى(٣٧٤/٢٢)، وبدائع الفوائد(١٤١/١).

(٢٨) انظر: تفسير الطبري (٥٩١/٢).

(٢٩) مفتاح دار السعادة (١٧٤/١).

(٣٠) انظر: تفسير مقاتل (٤٩٢/٢)، وتفسير يحيى بن سلام (٩٧/١).

(٣١) انظر: تفسير الطبري (٣٩٢/١٤)، وتفسير البغوي(٥١/٥).

(٣٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٢/٢) و(٦١١/٤).

قومه[٣٣]. وقد وصفه الله بالحنيف في غير موضع من القرآن، وبين أن الحنيفية ملته، وأنها عبادة الله وحده والبراءة من الشرك وأهله، وعبادته سبحانه إنما تكون بما أَمَر به وشرعه، وذلك يدخل في الحنيفية، وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم[٣٤].

قال مجاهد: «الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس»[٣٥]. وكانت العرب تسمي كل من اختتن أو حج حنيفا، تنبيها على أنه على دين إبراهيم عليه السلام[٣٦]. وقال الطبري: «فإن قال قائل: فكيف أضيفت الحنيفية إلى إبراهيم وأَتْباعه على ملته خاصة دون سائر الأنبياء قبله وأَتْباعهم؟ قيل: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفا متبعا طاعة الله، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدا منهم إماما لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إماما فيما بيّنه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدا به أبدا إلى قيام الساعة، وجعل ما سن من ذلك علما مميزا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي، فسمي الحنيف من الناس حنيفا باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه، وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: يهودي ونصراني ومجوسي، وغير ذلك من صنوف الملل»[٣٧]. ثم أكد سبحانه ذلك بنفي الشرك عنه، فقال:

٤. قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: ولم يك يشرك بالله شيئا في قوله وعمله، وجميع أحواله لأنه إمام الموحدين الحنفاء[٣٨]، فإنه حين بُعث إبراهيم عليه السلام كان الشرك قد طبق الأرض، وامتلأت بعبادة الكواكب العلوية والأصنام السفلية، فأظهر التوحيد ودعا إليه، وعادى الشرك وأهله، ونصره الله على قومه[٣٩]، فنفى عنه

(٣٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية(٥/١٨٨).
(٣٤) انظر: المصدر السابق(ص١٨٠).
(٣٥) انظر: تفسير البغوي(١/ ١٥٥).
(٣٦) انظر: مجموع رسائل العلائي(ص٥٩).
(٣٧) تفسير الطبري(٢/ ٥٩٤).
(٣٨) انظر: تفسير السعدي (ص٤٥١).
(٣٩) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٨٨).

الشرك على أبلغ وجوه النفي، بحيث لا ينسب إليه شرك وإن قل؛ تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملته عليه السلام، وإعلام من الله لهم، أن إبراهيم منهم بريء، وأنهم منه براء[٤٠].

وقد بين القرآن في مواضع كثيرة تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الشرك وأهله، ومفارقته الشرك وأهله بالقلب واللسان والأركان، ومعاداته لهم وإنكاره ما كانوا عليه من الشرك في عبادته، وتكسيره الأصنام وصبره على ما أصابه في ذات الله، وهذا هو تحقيق التوحيد وهو أساس الدين ورأسه[٤١].

٥. قوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: خبر رابع لكان، أي: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، فلا يجعل معه في شكره في نِعَمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك[٤٢].

٦. قوله: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: استخلصه للرسالة والنبوة، واصطفاه واختاره لخلته، واختصه بأنواع النعم[٤٣]، وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام[٤٤]، وإنما نال إبراهيم عليه السلام تلك الخصال الجليلة لأن الله اجتباه وهداه.

فكان جزاؤه على قنوته لله وشكره على نعم الله وإخلاصه العبادة له[٤٥]، مذكوراً في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]، واختلف في المراد بالحسنة هنا فقيل: الرسالة والخلة، وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن، وقيل: الصلاة منا عليه في التشهد، وقيل: أولادا

(٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٤/٣٩٣)، ومجموع رسائل العلائي(ص٥٩)، وتيسير العزيز الحميد(ص٧٥).

(٤١) انظر: قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن(ص١٣٦).

(٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٤/٣٩٣).

(٤٣) انظر: تفسير يحي بن سلام(١/٩٧)، وتفسير الطبري(١٤/٣٩٣)، ومجموع رسائل العلائي (ص٦٣).

(٤٤) انظر: تفسير مقاتل(٢/٤٩٢)، وتفسير يحي بن سلام(١/٩٧)، وتفسير الطبري(١٤/ ٣٩٣).

(٤٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٧).

أبرارا على الكبر، وقيل: القبول العام في جميع الأمم[٤٦] فجميع أهل الأديان يتولونه ولا يتبرأ منه أحد منهم[٤٧]، ولا مانع أن يكون ما آتاه الله شاملا لذلك كله ولما عداه من خصال الخير[٤٨]، فجمع له جميع ما يحتاجه المؤمن من خير الدنيا لإكمال حياته الطيبة[٤٩]، وإنه في الدار الآخرة لممن صلح أمْرُه وشأنه عند الله، وحسنت فيها منزلته وكرامته[٥٠]، قال يحي بن سلام: «والصالحون أهل الجنة، وأفضلهم الأنبياء»[٥١].

فتضمنت هذه الصفات العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق إليه وتعليمه ونشره[٥٢]، مع كمال الاستقامة والهداية، فمن اتبعه في ذلك، دخل الجنة كما يدخلها إبراهيم عليه السلام، لذلك أعقب هذا الثناء العظيم الدال على كمال عبوديته عليه السلام وعلو مرتبته وعظمته وصحة توحيده وطريقته بالأمر الكبير والعصمة والقاعدة الكلية[٥٣] فقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فأَمَر النبي ﷺ باتباع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، أي: طريقته ودينه[٥٤]، وهو الإسلام[٥٥] الذي أوصى به بنيه ودعى إليه قومه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، وجاء قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بصيغة المفرد المضاف فأفاد العموم، ومعناه أن النبي ﷺ أُمِر باتباع كل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام من القيام بحق العبودية لله بفعل

(٤٦) انظر: تفسير البغوي(٥/٥١).
(٤٧) انظر: تفسير مقاتل (٢/٤٩٣).
(٤٨) انظر: تفسير الشوكاني(٣/٢٤١).
(٤٩) انظر: تفسير ابن كثير(٤/٦١١).
(٥٠) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٩٧).
(٥١) تفسير يحي بن سلام(١/٩٨).
(٥٢) انظر: مفتاح دار السعادة(١/١٧٤) بتصرف.
(٥٣)انظر: تفسير ابن كثير(٤/٦١١)، وتفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٣/٣١١).
(٥٤) تقدم تعريفها.
(٥٥) انظر: تفسير مقاتل(٢/٤٩٢)، وتفسير الطبري (١٤/٣٩٨).

الأوامر وأعظمها التوحيد، وترك النواهي وأعظمها الشرك، وفي جميع أقواله وأفعاله وشريعته إلا ما نسخ منها[٥٦].

وذلك أن الملة هي الدين، وهي مجموعة أقوال وأفعال واعتقاد ودخول الأعمال في الملة كدخول الإيمان، فالملة هي الفطرة، وهي الدين، ومحال أن يأمر الله سبحانه باتباع إبراهيم في مجرد الكلمة دون الأعمال وخصال الفطرة، وإنما أمِر بمتابعته في توحيده وأقواله وأفعاله[٥٧].

وكان النبي ﷺ متعبداً بشريعة من كان قبله من الأنبياء، وهذا ما عليه أهل السنة، قال قوام السنة: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [النحل: ١٢٣]، فأُمِرَ باتباع ملة إبراهيم، وأَمْره على الوجوب، لأن الحكم إذا ثبت في الشرع لم يجز تركه حتى يرد دليل نسخه، وليس في بعثه النبي ﷺ ما يوجب نسخ الأحكام التي قبله فإن النسخ إنما يكون عند التنافي، والبعثة إنما تكون بالتوحيد، وليس فيه منافاة لتلك الأحكام، فوجب التمسك بتلك الأحكام والعمل بها حتى يرد ما ينافيها ويزيلها كما وجب ذلك قبل بعثه النبي ﷺ» [٥٨].

كما يُعد أَمْر النبي ﷺ، وهو سيد الخلق وأكملهم وأفضلهم، باتباع ملة إبراهيم عليه السلام والاقتداء به هو وأمته، من أعظم فضائل إبراهيم عليه السلام التي اختصه بها[٥٩].

ولا يعني كونه ﷺ أُمِر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها، لأنه ﷺ قام بها قياماً عظيماً، وأُكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتمَ الأنبياء، وسيدَ ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يذهب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل عليه السلام طلباً للشفاعة لفصل القضاء يوم القيامة[٦٠].

---

(٥٦) انظر: تفسير البغوي(٥/٥١)، ومجموع رسائل العلائي(ص٦٦)، وتفسير الشوكاني(٣/٢٤٢)، والقواعد الحسان للسعدي(ص١٨).

(٥٧) انظر: تحفة المودود (ص٢٥٨).

(٥٨) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة (٢/ ٤٩٢).

(٥٩) انظر: تفسير السعدي (ص٤٥١) .

(٦٠) انظر: تفسير ابن كثير(٣/٣٨١).

المبحث الثاني

أمْرُ الله نبيَّه ﷺ أن يظهر ويعلن اتباعه ملة إبراهيم عليه السلام

لما برأ الله نبيه ﷺ من كل من فارق دينه الحق، وفرّقه، وكانوا فيه أحزابا وشيعا، من أهل الملل والنحل والأهواء والبدع والضلالات[٦١]، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، أي: أنت منهم بريء وهم منك برآء، فشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق[٦٢]؛ أعقب ذلك بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، فأمره سبحانه أن يخبر أولئك المفرقين دينهم بما أنعم عليه من التوفيق والهداية والدلالة والإرشاد[٦٣] إلى ملة التوحيد، الحنيفية السمحة، ملة إبراهيم عليه السلام الحنيف، المائل عن الشرك، وعن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين[٦٤]، وقد وصف الله ملته عليه السلام في هذه الآية بوصفين: الأول: قوله: ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: والصراط المستقيم في اللغة وإجماع المفسرين هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، ثم استُعمل في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج[٦٥]، فمعناه هنا هو الطريق القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف[٦٦]، وهو: دين الإسلام[٦٧] والإيمان والعلم بالحق والعمل به، والاستقامة عليه،

---

(٦١) قال قتادة: «اليهود والنصارى والصابئون وغيرهم». انظر: تفسير ابن أبي زمنين(١٠٨/٢)، وانظر: تفسير الطبري (٣٣/١٠)، وتفسير ابن كثير(٣/ ٣٧٧)، وتفسير الشوكاني(٢٠٨/٢).

(٦٢) انظر: تفسير الطبري(٣٣/١٠)، وتفسير ابن كثير(٣٧٧/٣).

(٦٣) انظر: العذب النمير للشنقيطي (٦١٤/٢).

(٦٤) انظر: تفسير السعدي (ص٢٨٢)، وتقدم بيان معنى وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] في المبحث الأول.

(٦٥) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/١)، والعذب النمير (٦١٤/٢).

(٦٦) انظر: تفسير مقاتل(٦٠٠/١)، وتفسير الطبري (٤٤/١٠)، وتفسير ابن كثير (٣٧٧/٣).

(٦٧) انظر: تفسير مقاتل(٦٠٠/١)، ورواه ابن ابي حاتم(١٤٣١/٥)، عن أبي الأحوص، وانظر: تفسير السمعاني(١٦١/٢)،

والانقياد لأمر الله، وترك ما نهى عنه[٦٨].

الثاني: قوله:﴿دِينًا قِيَمًا﴾: وهذا تفسير للمراد بالصراط المستقيم[٦٩]، وقرئت ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء مخففة[٧٠]، وقرئت ﴿قِيَمًا﴾ بفتح القاف وكسر الياء مشددة[٧١]. و(القَيِّم) و(القِيَم) بمعنى واحد، وهم لغتان معناهما: الدين القويم المستقيم[٧٢]. أي: هداني دينا مستقيما[٧٣]، مقوما لأمور معاشهم ومعادهم[٧٤]، ودائما ثابتا، لا ينسخ[٧٥].

فبين في هذين الوصفين كمال ملة إبراهيم عليه السلام – التي أُمِرَ نبينا ﷺ أن يعلن ويظهر اتباعه لها– واستقامتها وأنها خير الملل وأفضلها، وقد وفاها الرسول ﷺ وحاز بها الفضل وزاد عليها أنواعا عظاما من الهدى لم تنزل على إبراهيم عليه السلام ولم تكن في شرعه[٧٦]، فظهر بذلك فضل الرسول ﷺ على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وتفسير البغوي(٣/٢١٠).

(٦٨) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/٤١) و(٢٤/٣٠٢) و(٢٩/٢٦٤).

(٦٩) انظر: تفسير ابن أبي زمنين(٢/١١٠)، وبدائع الفوائد(٢/٤١٤).

(٧٠) وهي قراءة سبعية قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد(ص٢٧٤)، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمر(ص٣٥٢).

(٧١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، انظر: السبعة (ص٢٧٤)، والتيسير (ص٣٥٢).

(٧٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/٤٤)، وتفسير ابن أبي زمنين(٢/١١٠)، وتفسير البغوي (٣/٢١١).

(٧٣) انظر: تفسير مقاتل(١/٦٠٠)، وتفسير الطبري (١٠/٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس(٢/٥٢٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣١١)، وتفسير البغوي (٣/٢١١)، وبدائع الفوائد(٢/٤١٤).

(٧٤) انظر: المفردات (ص٦٩١).

(٧٥) انظر: البسيط للواحدي (٥/٣٦٦)، وتفسير ابن كثير(٣/٣٨٠).

(٧٦) انظر: العذب النمير(٢/٦١٨).

المبحث الثالث

الإخبار بأنها ملة الأنبياء من بعد إبراهيم عليه السلام

وذلك فيما حكاه الله عن يوسف عليه السلام ودعوته للسجينين حين أتياه ليعبر لهما رؤياهما، فانتهز فرصة تشوقهما لتعبيرها عنده فبدأ بالأهم فالأهم، فدعاهما أولا إلى التوحيد، فأعلن عليه السلام براءته من ملة الشرك وأهلها واتباعه لملة آبائه من الأنبياء قبله وهي الملة الحنيفية ملة إبراهيم، قبل تعبير رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه(٧٧)، فقال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٣٧]، أي: لست أخبركما على جهة التكهن، والتنجم، إنما أخبركما بما علمني الله إياه، فأضاف هذه النعمة العظيمة إلى معطيها ﷻ، لا إلى فهمه واجتهاده(٧٨)، ثم بين لهما أنه نال هذه الرتبة العليَّة من إكرام الله له بهذا العلم والفضل؛ بسبب الترك والفعل، حيث ترك الشرك الذي هو مسلك الجاهلين(٧٩)، كما في قوله:﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٣٧]، والمراد بالترك هنا: رفضه لشيء لم يقع فيه أصلا(٨٠)، وفَعَلَ التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتْباعهم فقال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨]، فذكر أنه من هؤلاء الأكرمين، وأنه اتبع ملتهم وهي عبادة الله وحده، وهي الملة الحنيفية لا ملة أهل الشرك، فانتسب إلى بيت النبوة الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض، ليحرض السجينين على قبول دعوته(٨١).

قال السعدي: «وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما

---

(٧٧) انظر: تفسير السعدي(ص٤٠٩) بتصرف.

(٧٨) انظر: معاني القرآن(٣/١١٠)، وتفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٣/٢٤٩).

(٧٩) انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٣/٢٤٩).

(٨٠) انظر: المجموع المغيث(١/٢٢٨)، وتفسير ابن كثير(٤/٣٨٩)، وتفسير الشوكاني(٣/٣٢)، وتفسير السعدي (ص٣٩٨).

(٨١) انظر: تفسير الطبري (١٣/١٦٢)، ومجموع الفتاوى (١٦/٥٦٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٣٨٩)، والدرر السنية، ضمن تفسير محمد بن عبد الوهاب (١٣/٢٤٩-٢٥٣).

رأياه بعين التعظيم والإجلال وأنه محسن معلم، ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث منَّ علي بترك الشرك وباتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت»[٨٢].

ثم وصف أصحاب هذه الملة الحنيفية التي اتبعها عليه السلام بوصفين:

الأول: أن الله عصمهم من الشرك، فقال:﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾[يوسف آية: ٣٨]، أي: أن الله عصمنا من الشرك، وما جاز لنا معاشر الأنبياء ولا استقام أن نجعل لله شريكا في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة[٨٣]، فلم يرخص في الشرك لأحد من الأنبياء، بل نفى الشرك بالله جل جلاله نفيا عاما بقوله: ﴿نم نى﴾ أي: أن نشرك بالله شيئا[٨٤]، فعم كل ما عبد من دون الله، فليس يصح منه شيء، ولو علت درجته[٨٥].

الثاني: أنهم فضل من الله على الناس، فقال:﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، أي: ذلك التوحيد والعلم من فضل الله الذي تفضل به علينا، فأنعم إذ أكرمنا به ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ إذ أرسَلنا إليهم دعاةً إلى توحيده وطاعته[٨٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وقول يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ أن جعلنا أنبياء ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يقول: أن بعثنا إليهم رسلاً»[٨٧].

---

(٨٢) تيسير الكريم المنان (ص٣٩٨).

(٨٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٢/١٣).

(٨٤) انظر: تفسير الثعلبي(١٧/١٥).

(٨٥)انظر: تفسير البغوي(٢٤٢/٤)، وتفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٣/ ٢٥٣).

(٨٦) انظر: تفسير الطبري (١٦٢/١٣)، تفسير الثعلبي(١٧/١٥)، وتفسير البغوي (٢٤٢/٤)، وتفسير ابن كثير(٣٨٩/٤).

(٨٧) رواه الطبري في تفسيره (١٦٣/١٣)،وابن أبي حاتم في تفسيره(٢١٤٥/٧).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ أي: لا يؤمنون[٨٨]، ولا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، بل﴿بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨][٨٩].

وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبرهن لهما على حسن التوحيد ووجوبه، وعلى قبح الشرك وتحريمه[٩٠] فقال:﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠]، فأقام الحجج العقلية على بطلان عبادة الآلهة التي سموها وابتدعوها بلا حجة ولا برهان، اختلاقاً منهم لها وافتراء[٩١]، وأن الحكم لله وحده وقد حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء[٩٢].

قال أبو العالية: «أُسِّس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له»[٩٣].

ثم وصف الملة الحنيفية التي اتبعها ودعاهما إليها فقال:﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، أي: المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه[٩٤]، والقويم الذي لا اعوجاج فيه، والحق الذي لا شك فيه، ولكن أهل الشرك يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته[٩٥]، فلهذا كان أكثرهم مشركين.

فظهرت معالم ملة إبراهيم عليه السلام التي بينها القرآن في مضمون ما دعى إليه يوسف عليه السلام السجينين، وهذا

---

(٨٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٣٢٦/٢).

(٨٩) انظر: تفسير الطبري (١٦٢/١٣)، وتفسير ابن كثير(٣٨٩/٤).

(٩٠) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي (٢٨٠/١).

(٩١) انظر: تفسير الطبري (١٦٥/١٣).

(٩٢) انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (٢٥١/١٣).

(٩٣) رواه الطبري في تفسيره(١٦٥/١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٢١٤٦/٧).

(٩٤)انظر: تفسير مقاتل(٣٣٤/٢)، وتفسير ابن كثير(٣٩٠/٤).

(٩٥) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٦٦).

دليل على اتباعه لملة أبيه إبراهيم علما وعملا، ومما يوضح ذلك الآتي[٩٦]:

١. إعلانه البراءة من الشرك وأهله واعتزال ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر واتباعه للملة الحنيفية ملة الأنبياء عليهم السلام، وهي فعل التوحيد وترك الشرك.

٢. ذكره أن سبب معرفة الأنبياء عليهم السلام التوحيد وما يضاده، وعلمهم به، وثباتهم عليه، هو مجرد فضل الله فقط عليهم.

٣. دعوته إياهما إلى التوحيد وهو في تلك الحال، فلم تشغله حاله عن النصيحة والدعوة إلى الله، والاستدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك بأنواع من الأدلة العقلية، والنقلية.

٤. تقريره القاعدة الكلية، وهي أن أَمْرَ التشريع إلى الله، لا إلى غيره.

٥. أنه إذا ثبت أن الحكم له وحده، دون الظن وما تهوى الأنفس، فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه، ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء.

٦. أن هذا هو الدين المستقيم وغيره من الأديان ليس بمستقيم[٩٧]، بل أَعوَج، فعلامة الحق: أن العقول السليمة تعرف اعوجاجه بالفطرة، ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء، بتحقيق الدين الحق والإلزام به، وتبطيل ما خالفه، وتغليظ الوعيد عليه.

وغيرها من المعالم الجليلة والحجج الدالة على أن الملة الحنيفية هي ملة الأنبياء، وأن أساسها الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وفي هذا الخبر الذي حكاه الله عن يوسف عليه السلام؛ أمر لهذه الأمة باتباع ملته التي هي ملة إبراهيم عليه السلام.

---

(٩٦) غالب هذه المعالم استفدتها من المسائل التي استنبطها محمد بن عبد الوهاب في تفسيره للسورة وما ليس منها وضعت له حاشية مستقلة. انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٣/٢٥٢).

(٩٧) انظر: تفسير مقاتل(٢: ٣٣٥).

المبحث الرابع

أَمْرُ المؤمنين باتباع ملة إبراهيم عليه السلام

بعد أن أخبر الله أنه اصطفى رسلاً من الملائكة ومن الناس؛ أعقب ذلك بإخبار المؤمنين من أمة محمد ﷺ بأنه اصطفاهم واختارهم لدينه، واختار لهم أفضل الملل، وأفضل الكتب، وأفضل الرسل، وجعلهم صفوة خلقه بعد النبيين والمرسلين، وأمرهم أن يقابلوا هذه المنحة العظيمة، بإفراده بالعبودية، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٧-٧٨]، فحثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول ﷺ، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام[٩٨]، فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٩٩]، أي: اتبعوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم [١٠٠] وافعلوا الخير فعل أبيكم

---

(٩٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام(١/٣٩٠)، وتفسير الثعلبي(١٨/٤١٤)، وتفسير ابن كثير(٥/٤٥٦).

(٩٩) روى إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي في تفسيره قال: سمعت ابن أبي عمر يقول: سأل الحميدي سفيان بن عيينة عن قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أرأيت من لم يلده إبراهيم؟ قال: «هذا مثل قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]» انظر: تفسير إسحاق البستي (١:/٣٨١)، وقال الثعلبي في تفسيره (١٨/ ٤١٦): «ليس جميعهم يرجع إلى ولادة إبراهيم عليه السلام فإن معناه أن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال النبي ﷺ: ((إنما أنا لكم مثل الوالد))»، وقال الشوكاني في تفسيره(٣/٥٥٧): «وإنما جعله سبحانه أباهم لأنه أبو العرب قاطبة، ولأن له عند غير العرب الذين لم يكونوا من ذريته حرمة عظيمة كحرمة الأب على الابن لكونه أبا لنبيهم ﷺ».

(١٠٠) انظر: تفسير الطبري (١٦/٦٤٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/١٩١)، وتفسير البغوي(٥/٤٠٣).

إبراهيم[١٠١]، فقوله:﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ شامل لما ذكر قبله من الأوامر[١٠٢]، وإنما أمرنا باتباع ملته لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ[١٠٣]، ولأن الله جعله إماما لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة[١٠٤]، فذكر الله في هذه الآيات بعض شعائر وخصائص ملة إبراهيم وهي:

أولاً: الصلاة، وهي المذكورة في قوله: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ أي: صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود[١٠٥]، وخص الصلاة لكونها أشرف العبادات[١٠٦]، وخص منها الركوع والسجود، لفضلهما وركنيتهما[١٠٧].

ثانياً: التوحيد، وهو المذكور في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي: أخلصوا عبادتكم لله وحده[١٠٨].

قال مقاتل: «يعنى: وحدوا ربكم »[١٠٩] يعني: أن من أشرك بعبادته غيره لم يوحده، وعبادته إنما تصح مع التوحيد فجاز أن يسمي التوحيد عبادة؛ لأنه أصل العبادة وأعظمها[١١٠].

ثالثاً: فعل الخير، وهذه من شعائر ملته عليه السلام، فقد جعله الله للناس إماماً يقتدى به في الخير، وهو من معاني وصفه عليه السلام بالحنيف والقانت كما تقدم[١١١]، وهي المذكورة هنا في قوله:﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ أي: الذي أمركم الله

---

(١٠١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٩).

(١٠٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي(٥/٣٠٢)، وانظر: تفسير السعدي(ص٥٤٧).

(١٠٣) انظر: تفسير الثعلبي (١٨/٤١٥)، وتفسير البغوي(٥/ ٤٠٣).

(١٠٤) انظر: تفسير الطبري(٢/٥٩٤).

(١٠٥) انظر: تفسير مقاتل(٣/١٣٩)، وتفسير الطبري(١٦/٦٣٩)، وتفسير البغوي(٥/٤٠١).

(١٠٦) انظر: تفسير الشوكاني (٣/ ٥٥٦).

(١٠٧) انظر: تفسير السعدي (ص٥٤٧).

(١٠٨) انظر: معاني القرآن، للنحاس (٤/ ٤٣٣).

(١٠٩) تفسير مقاتل (٣/١٣٩).

(١١٠) انظر: البسيط للواحدي(١٥/ ٥٠٤).

(١١١) في المبحث الأول.

بفعله ويشمل كل ما أمر الله به[١١٢]، من واجبات ومستحبات[١١٣].

رابعاً: الجهاد في سبيل الله، وهو المذكور في قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، أي: بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم[١١٤]، بالحجة والبيان السيف والسنان، والجهاد بالحجة والبيان يقدم على الجهاد بالسيف والسنان[١١٥].

قال السعدي:« والجهاد هو بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك»[١١٦].

خامساً: رفع الضيق والحرج، وهو المذكور في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ فأخبر أنه ما جعل علينا في الدين من حرج نفيا عاما مؤكدا[١١٧]، والحرج هو الضيق كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[١١٨]، وروى ابن جرير عن أبي خلدة قال:« قال لي أبو العالية: « هل تدري ما الحرج؟ قلت لا ، قال: الضيق، إن الله لم يضيق عليكم، لم يجعل عليكم في الدين من حرج»[١١٩]

والآية تعم جميع أنواع الحرج الذي رفعه الله عن هذه الأمة[١٢٠] فقد بعث نبيها بالحنيفية السمحة فلم يكلفهم

---

(١١٢) انظر: تفسير مقاتل(١٣٩/٣)، وتفسير الطبري (٦٣٩/١٦)، ومعاني القرآن للنحاس(٤٣٣/٤).

(١١٣) انظر: مجموع الفتاوى(٢٦٦/١٥).

(١١٤) انظر: تفسير ابن كثير(٤٥٥/٥).

(١١٥)انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (٧/ ٢٢٥).

(١١٦) انظر: تفسير السعدي(ص٥٤٧).

(١١٧) انظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص١٨٤).

(١١٨) رواه الطبري في تفسيره (٦٤١/١٦).

(١١٩)رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٤٢).

(١٢٠)انظر: تفسير الشوكاني(٥٥٧/٣).

ما لا يطيقون، ولم يلزمهم بشيء فشق عليهم إلا جعل لهم منه فرجا ومخرجا[١٢١].

قال بكر بن العلاء: «فالحرج عند العرب، وعلى ما قاله أيضا جماعة من المفسرين: الضيق، فلم يضيق الله ﷻ على هذه الأمة، ولم يحمل عليهم الإصر الذي حمله على من كان قبلهم، خفف عنهم فرائضهم، وأوجبها على حسب طاقاتهم ودون ذلك، ثم تجاوز عنهم فيما حدثوا به أنفسهم، ما لم يعملوا به، ثم غفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر، ثم جعل للكبائر والصغائر كفارات من الأعمال، من التوبة والندم والاستغفار، فلله الحمد على ما من به من ذلك»[١٢٢].

فهذه الأوامر، من ملة إبراهيم عليه السلام التي اختارها الله لهذه الأمة وأمرهم بلزومها والاستمساك بها اصطفاء لهم واعتناء بهم، لذلك أخبر تعالى أنه نوه بهم في سالف الدهر حيث سماهم المسلمين في الكتب السابقة قبل وجودهم، وفي هذا القرآن الذي أنزل على نبيهم ﷺ، بعد أن أوجدهم اعتناء بهم ورفعة لشأنهم، وإعلاء لقدرهم، ليكون الرسول ﷺ شهيدا عليهم يوم القيامة بأنه قد بلغ ما أرسل به، ويكونوا هم شهداء على الرسل أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم، فأمرهم أن يقابلوا هذه النعم العظيمة بالقيام بشكرها وأداء حق الله عليهم في أداء ما افترض ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وبالاعتصام بالله أي: ثقوا به واستعينوا به وتوكلوا عليه هو مولاكم أي حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير[١٢٣].

---

(١٢١) انظر: تفسير ابن كثير(٥/٤٥٥).

(١٢٢) أحكام القرآن (٢/ ١٥٨).

(١٢٣) انظر: تفسير يحي بن سلام(١/٣٩١)، وتفسير الطبري(١٦/٦٤٧-٦٤٨)، تفسير الثعلبي (١٨/٤١٦)، ومنهاج السنة (١/ ١٧)، وشفاء العليل (ص٢٨)،وإعلام الموقعين (٥/٥٧١)، وتفسير ابن كثير (٥/٤٥٥- ٤٥٧).

المبحث الخامس

أَمْرُ بني إسرائيل باتباع ملة إبراهيم عليه السلام

وذلك حين بين الله كذب اليهود في إنكارهم النسخ ليقدحوا بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فزعموا أن النسخ باطل، وأنه لا يمكن أن يأتي نبي يخالف النبي الذي قبله، فألزمهم الله بما في التوراة حيث جاءت التوراة بتحريم كثير من المآكل عليهم، التي كانت حلالا لبني إسرائيل قبل نزول التوراة، وأكذبهم الله في نص التوراة كما أكذبهم في القرآن(١٢٤)، فقال: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤]، فأخبر أنه أحل الطعام كله لبني إسرائيل قبل نزول التوراة إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام، فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها ما شاء، وأحل لهم ما شاء(١٢٥)، وهذا هو محض النسخ الذي أنكروه وهم يعلمون وقوعه، فاحتج عليهم بأمر يعرفونه ويعترفون به فقال:﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [ال عمران:٩٣]، فهل تجدون أن إسرائيل حرم على نفسه ما حرمته التوراة عليكم ؟ أم تجدون فيها تحريم ما خصه بالتحريم وهي لحوم الإبل وألبانها خاصة ؟ وإذا كان إنما حرم هذا وحده، وكان ما سواه حلالا له ولبنيه، وقد حرمت التوراة كثيرا منه، ظهر كذبكم وافتراؤكم في إنكار نسخ الشرائع، والحجر على الله تعالى في نسخها(١٢٦)، وهذا من أبلغ الحجج، أن يحتج على الإنسان بأمر يقوله ويعترف به ولا ينكره، فإن انقاد للحق، فهو الواجب، وإن أبى ولم ينقد بعد هذا البيان، تبين كذبه وافتراؤه، وظلمه وبطلان ما هو عليه، وهو الواقع من اليهود(١٢٧)، لذلك قال: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١٢٤) انظر: إغاثة اللهفان(٢/١١٠٠) بتصرف.

(١٢٥) وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة في تفسير الآية، رواه الطبري في تفسيره (٥/٥٨٠-٥٨١)، و ابن أبي حاتم في تفسيره(٣/٧٠٦).

(١٢٦) انظر: إغاثة اللهفان(٢/١١٠١).

(١٢٧) انظر: تفسير السعدي (ص٩٧٠).

ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ [ال عمران:٩٤]، أي: فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم التمسك بالتوراة دائما، وأنه لم يبعث نبيا آخر يدعو إلى الله بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه فأولئك هم الظالمون، وأي ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع من ذلك عنادا وتكبرا وتجبرا وهذا من أعظم الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها، فلهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ [ال عمران:٩٥]: أي ثبت أن الله صادق فيما أخبر وأنزل ، وأنتم الكاذبون، فإن كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله[١٢٨] ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [ال عمران:٩٥]، أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ، فإنها الحق الذي لا شك فيه ولا مرية، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الأحزاب، فإنها بدع ابتدعتموها، وإن الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة إبراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي، وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلقي[١٢٩].

وقد وصف الله صاحب الملة عليه السلام بوصفين، فقال: ﴿حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ -وتقدم بيان معنى هذين الوصفين لإبراهيم عليه السلام[١٣٠]- ويستفاد من هذا الثناء من الله على إبراهيم، فائدتان:

١. أن هذين الوصفين هما سبب أمرهم باتباع ملته.

٢. التعريض بما في اليهودية والنصرانية من شرك، فكيف يزعمون أنهم على ملته، وما كان يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة من الشرك وهو الذي بعث به محمد ﷺ[١٣١]، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس

---

(١٢٨) انظر: تفسير الطبري(٥/٥٨٩)، وتفسير السمعاني(١/٣٤١)، وتفسير ابن كثير(٢/ ٧٧).

(١٢٩) انظر: تفسير الطبري(٥/٥٨٩)، وتفسير ابن كثير(٢/٧٦).

(١٣٠) في المبحث الأول.

(١٣١) انظر: تفسير القاسمي(٢/ ٣٥٥).

على ملته مشركون غير موحدين[١٣٢].

فبينت هذه الآيات صحة رسالة محمد ﷺ، وصدق ما جاء به، وبطلان ما عليه المنحرفون من أهل الكتاب، الذين كذبوا رسوله، وردوا دعوته، وبدلوا وحرفوا، وأنه دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم التي أجمع جميعهم على الإقرار بأنها حق و هدى مستقيم، وإنما دعاهم إلى اتباع ملته لأن في اتباعها اتباع له ﷺ ، وأن أساسها عبادة الله وحده بما أَمَر به وشرعه والبراءة من الشرك، والإعراض عن الأديان المبتدعة الباطلة المنحرفة، فلا يدخل في ملته ما ابتدعوه من العبادات التي لم يأمر بها الأنبياء، فإن إبراهيم كان معرضاً عن كل ما يخالف أمْرَ الله، متبرئاً منه ومن الشرك وأهله، لذلك أوجب الله على الناس كلهم المشركين وأهل الكتاب وغيرهم اتباع ملته[١٣٣].

(١٣٢) تفسير السعدي(ص١٣٨).

(١٣٣) انظر: تفسير الطبري(٥/٥٨٩)، وجامع المسائل لابن تيمية(٥/١٨٠)، وتفسير السعدي (ص٩٧٠).

المبحث السادس

مدح المخلص المنقاد المتبع ملة إبراهيم عليه السلام

وذلك حين أنكر الله على أهل الكتاب قولهم للمؤمنين: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله! فأنزل الله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء:١٢٣]، إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، فأفلج[١٣٤] الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان[١٣٥]، وفضَّل المؤمنين على أهل الكتاب[١٣٦] فقال:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، فأبطل زيف ما ادعاه أهل الكتاب وحكم بأنه لا أحد أكمل ولا أحسن دينا ممن وصفهم في الآية، واستفتح هذه الصفات باستفهام إنكار مُضمَّن معنى النفي، وهو إنكار نهي وذم لمن جعل دينا أحسن من هذا الدين، وذلك في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ الآية، فنفى أن يكون دين أحسن من هذا الدين، وأنكر على من أثبت دينا أحسن منه[١٣٧].

روى ابن جرير عن الضحاك قال: «فضل الله الإسلام على كل دين فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، وليس يقبل فيه عمل غير الإسلام وهي الحنيفية»[١٣٨].

---

(١٣٤) الفُلج والفَلْج: الظَّفَر بالشَّيءِ والغَلَبَة عليه، وقد أَفْلَجَنِي الله ﷻ.انظر: المجموع المغيث(٢/٦٣٥).

(١٣٥) رواه الطبري في تفسيره(٢٠/٤٨٩)، عن قتادة، وانظر: تفسير مقاتل(١/٤٠٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/٤٠٩)، وتفسير ابن كثير(٢/ ٤١٧).

(١٣٦) رواه ابن أبي حاتم عن السدي(٤/١٠٧٣)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٠٩).

(١٣٧) انظر: مجموع الفتاوى(١٤/٤٢٦)،وأضواء البيان(١/ ٣١٢).

(١٣٨) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٢٨).

ثم ذكر صفاتهم مؤكدا بأن من اتصف بها فهو على ملة إبراهيم عليه السلام الذي يدعي أهل الملل أنهم على ملته فبين أن من اتصف بها فقد اتبعه[١٣٩]، وهذه الصفات هي:

الأولى: في قوله:﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: من أخلص دينه[١٤٠]، وقصده وتوجهه وعمله لله، وانقاد له بالطاعة مصدقا نبيه محمدا ﷺ فيما جاء به من عند ربه[١٤١]، وهو دال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله[١٤٢]، وذلك لأن الوجه يتناول المتوجِه والمتوجَه إليه ويتناول المتوجِه نفسه، كما يقال: أي وجه تريد؟ أي: أي وجهة وناحية تقصد، وذلك أنهما متلازمان، فحيث توجه الإنسان توجه وجهه ووجهه مستلزم لتوجهه، وهذا في باطنه وظاهره جميعا، والباطن هو الأصل، والظاهر هو الكمال والشعار فإذا توجه قلبه إلى شيء تبعه وجهه الظاهر[١٤٣].

الثانية: في قوله: ﴿هُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: محسن في عمله[١٤٤]، والمراد بإحسان العمل: موافقة الشريعة، فهو متبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، عامل بما أمره به ربه من واجبات ومستحبات ومحرم حرامه ومحلل حلاله[١٤٥].

فجمعت هاتان الصفتان شرطي قبول كل عبادة قولية وفعلية ظاهرة وباطنة، وأصلا دين الإسلام الذي ارتضاه

---

(١٣٩) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني(١٧٤/٤) وتفسير العثيمين(٤٥١/٣).

(١٤٠) انظر: الروايات عن أبي العالية والربيع ابن أنس وسعيد بن جبير في تفسير ابن أبي حاتم(١٠٧٣/٤)، وانظر: تفسير مقاتل(٤١٠/١).

(١٤١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٢٨)، و مفتاح دار السعادة (٢/ ٨٨٣).

(١٤٢) انظر: تفسير السعدي(ص٢٠٦).

(١٤٣) انظر: مجموع الفتاوى(١٧٥/٢٨).

(١٤٤) انظر: تفسير مقاتل(٤٠٩/١)، ومنهاج السنة(٢٥٢/٥).

(١٤٥) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٢٨)، والنبوات لابن تيمية(١/ ٤١٦)، و تفسير ابن كثير (٤٢٢/٢)، وتفسير السعدي (ص٢٠٦)، و تفسير العثيمين(٤٥١/٣).

الله[١٤٦]، وهما: الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسولﷺ. وبهما يكون عمل العامل خالصاً صواباً، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متبعا للرسول ﷺ، فمن أخلص أعماله لله متبعاً في ذلك رسول اللهﷺ فعمله مقبول، ومتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فعمله مردود وصاحبه داخل في قوله: ﴿قَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣][١٤٧].

وبمجموع هذين الوصفين علق الله السعادة فقال:﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢][١٤٨].

قال ابن تيمية: «فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا صلاح إرادته وقصده، فإذا كان مع ذلك محسناً فقد اجتمع أن يكون عمله صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهو قول عمررضي الله عنه:«اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً» والعمل الصالح هو الإحسان: وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله؛ فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسناً في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب، ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل ابن عياض في قوله:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود:٧]، قال: «أخلصه وأصوبه». فقيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل: حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة»[١٤٩]. وقد روى ابن شاهين واللالكائي عن سعيد بن جبير قال: «لا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول

---

(١٤٦) انظر: مجموع الفتاوى(٢٨/١٧٥)، وتفسير السعدي(ص٢٠٦).

(١٤٧) انظر: تفسير ابن كثير(٢/٤٢٢)، وبهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص١٣) بتصرف.

(١٤٨) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦١).

(١٤٩) رواه ابن أبي الدنيا، في الإخلاص والنية(ص٥٠).

وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[١٥٠]، ورويا عن الحسن البصري مثله ولفظه: «لا يصلح»[١٥١] مكان يقبل»[١٥٢].

الثالثة: في قوله:﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [النساء: ١٢٥]، أي: دينه وشرعه[١٥٣]، وهذه الجملة معطوفة على ما سبق للتوكيد المعنوي، لأن ملة إبراهيم عليه السلام هي: الإخلاص والقيام بالشريعة فتكون هذه الجملة مؤكدة لما سبق ومتضمنة له[١٥٤] فمن اتبع ملة إبراهيم فدينه أحسن الأديان، ومن اتصف بالصفات السابقة فقد اتبع ملة إبراهيم[١٥٥].

قال ابن كثير: «وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]»[١٥٦].

وإنما خص إبراهيم عليه السلام لأنه كان مقبولا عند الأمم أجمع[١٥٧] فإن العرب كانوا يفتخرون بالانتساب إليه، وكذا اليهود والنصارى، ولأن ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد ﷺ، وفي ملة محمد زيادة على ملة إبراهيم خص الله بها محمدا ﷺ، فمن أقر بملة إبراهيم مع الزيادة التي أتى بها نبينا صلوات الله عليه فقد اتبع دين إبراهيم[١٥٨].

فإذا ثبت أن شرع إبراهيم عليه السلام وملته كان مقبولا عند الأمم وأن شرع محمد ﷺ وملته هو شرع إبراهيم وملته؛ لزم الخلق عموما الدخول في دين محمد ﷺ وقبول شرعه وملته[١٥٩].

---

(١٥٠) رواه ابن بطة في الإبانة(١/١٤٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١/١١٨).

(١٥١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١/١١٧).

(١٥٢) انظر: مجموع الفتاوى(٢٨/١٧٥).

(١٥٣) انظر: تفسير السعدي (ص٢٠٦).

(١٥٤) انظر: تفسير العثيمين (٣/٤٥١).

(١٥٥) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ١٧٤).

(١٥٦) تفسير القرآن العظيم(٢/ ٤٢٢) .

(١٥٧) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٩٢).

(١٥٨) انظر: البسيط للواحدي (٧/١١٤)، وحدائق الروح والريحان(٦/٣٧٠).

(١٥٩) انظر: حدائق الروح والريحان(٦/٣٧٠).

الرابعة: في قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مخلصاً[١٦٠] مستقيماً مائلا عن الشرك قصداً ومقبلاً على التوحيد[١٦١].

وهذا الوصف يحتمل أن يكون حالا من إبراهيم عليه السلام ومعناه: حالة كون إبراهيم حنيفًا. ويجوز أن يكون حالاً للمتبع، ومعناه: حالة كون ذلك المتبع مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، الذي هو ملة إبراهيم[١٦٢].

وإن كان الأرجح أنه حال من إبراهيم[١٦٣] لأن القرآن بين في غير موضع أنه كان حنيفاً، وجعل الحنيفية صفته، حتى إن لفظ حنيف ينصب على الحال من المضاف إليه كما في هذا الموضع، وكقوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:١٣٥] و ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣][١٦٤].

ومن المعلوم أنه إذا كان إبراهيم عليه السلام حنيفاً؛ فمن اتبع ملته كان حنيفاً فصفة الحنيف وصف بها إبراهيم عليه السلام ويوصف بها من اتبعه. ثم أعقب الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام بوصفه بما شرفه الله به للحث على اتباع ملته ، ولبيان مرتبة من أمرنا باتباعه[١٦٥] فقال:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ فأثبت الله الخلة لنفسه فهي صفة له ﷻ نثبتها كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١][١٦٦].

وأخبر أنه اتخذ إبراهيم خليلا عليه السلام، وسمي عليه السلام خليل الله لشدة محبة ربه ﷻ له، لِما قام له من الطاعة التي

---

(١٦٠) انظر: تفسير مقاتل(١/٤١٠).

(١٦١) انظر: تفسير ابن كثير(٢/٤٢٢)، وتفسير السعدي (ص٢٠٦).

(١٦٢)انظر: البسيط، للواحدي (٧/١١٤)، وحدائق الروح والريحان(٦/٣٧٠).

(١٦٣) انظر: تفسير العثيمين(٣/٤٥١).

(١٦٤) انظر: جامع المسائل (٥/ ١٨٨) بتصرف.

(١٦٥) انظر: البسيط للواحدي(٧/١١٧)، وتفسير العثيمين(٣/٤٥١).

(١٦٦) انظر: مجموع الفتاوى(٥/٧١).

يحبها ويرضاها[١٦٧].

قال مقاتل: «الخليل الحبيب لأن الله أحبه في كسره الأصنام، وجداله قومه»[١٦٨].

والخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختُص بها في العالم الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما[١٦٩].

قال ابن كثير: «وهذا من باب الترغيب في اتباعه لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه»[١٧٠].

فمن كان بهذه المنزلة العلية والمكانة الرفيعة والشرف العظيم الذي اختصه الله به فهو الحقيق بأن يأمر الله عباده باتباعه والاقتداء به. لذلك حكم بأن من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع إبراهيم حنيفا فدينه من أحسن الأديان، ولا أحسن من الله حكما ولا أصدق منه قيلا.

---

(١٦٧) انظر: تفسير ابن كثير(٢/٤٢٣).

(١٦٨) انظر: تفسير مقاتل(١/٤١٠).

(١٦٩) انظر: روضة المحبين (ص٧٦).

(١٧٠) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٤٢٢).

المبحث السابع

ذمُّ من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام

بعد أن عظم الله خليله إبراهيم عليه السلام بالإخبار عن كمال عبوديته لربه وعن صفاته المرغبة باتباع ملته، وبخ من رغب عن ملته مع علمه بفضله وإمامته فقال:﴿مَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

فأخبر الله أن كل من رغب عن ملة إبراهيم فهو سفيه[١٧١]، مستفتحاً ذلك بالتوبيخ لمن رغب عن ملته فقال: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ﴾ فـ(من) اسم استفهام يراد به النفي ومعناه التقريع والتوبيخ يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم[١٧٢]، وهي: دينه وطريقته ومنهجه[١٧٣]، وقال مقاتل: «يعني الإسلام»[١٧٤]، والاستفهام التوبيخي، وما تضمنه من معنى الذم والإنكار كلها قرائن دالة على مطلق الأمر[١٧٥].

والمراد بالرغبة عن ملته عليه السلام أي: يصرف الرغبة عنها ويزهد فيها ويتركها ويخالفها[١٧٦]، فلا يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ أي: حصل منه السفه فأوبق نفسه وخسرها وأهلكها، وهو معنى قول أكثر السلف أن النفس هي التي سفهت، فإن (سفِه) فعل لازم لا يتعدى، ومعناه: إلا من كان سفيها فجعل الفعل له

---

(١٧١) انظر: مجموع الفتاوى(١٦/٥٧٢).

(١٧٢)انظر: معاني القرآن للزجاج(١/٢٠٩)، وإعراب القرآن للنحاس(١/٧٩)، وتفسير العثيمين(١/٣١٢).

(١٧٣) سبق تعريفها في مقدمة البحث. وانظر: تفسير ابن كثير(١/ ٤٤٥).

(١٧٤) تفسير مقاتل(١/ ١٣٩).

(١٧٥) انظر: بدائع الفوائد(٤/٣)، وشرح الأصول من علم الأصول للعثيمين (ص١٤١ – ١٤٣).

(١٧٦) انظر: تفسير الثعلبي(٤/١٣١)، والمفردات(ص٣٥٨)،و تفسير ابن كثير(١/٤٤٥).

ونصب النفس على التمييز لا النكرة كقوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ وهذا إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام، وهو ما جاء به محمد ﷺ فقد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال(١٧٧)، وامتهنها واحتقرها واستخف بها .

قال ابن القيم: «فقسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيها لا أسفه منه، ورشيدا، فالسفيه: من رغب عن ملته إلى الشرك، والرشيد: من تبرأ من الشرك قولا وعملا وحالا فكان قوله توحيدا، وعمله توحيدا، وحاله توحيدا، ودعوته إلى التوحيد، وبهذا أمر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم»(١٧٨).

وفي الآية تعريض بمعاندي أهل الكتاب(١٧٩)، قال أبو العالية وقتادة: «نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما أخذوه»(١٨٠)، فرد عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكفر والشرك بالله المخالف لملة إبراهيم التي هي الصراط المستقيم والدين الواضح القويم، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه(١٨١).

قال محمد بن عبد الوهاب: «إذا عرفت ملته فالواجب الاتباع لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها، وأن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه، وأن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح مع ادعائهم الكمال في العلم»(١٨٢).

لذلك أعقب الله هذا الذم والتقريع والتوبيخ بذكر بعض أوصاف إبراهيم عليه السلام التي جعلت اتباع ملته فرضا على المؤمنين وسببا للهداية والرشد، وتركها كفر وضلال وسبب لخسران النفس وهلاكها فقال:﴿لَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣١]، فذكر ثلاث صفات عظيمة تبين فضله عليه السلام:

---

(١٧٧) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٥)، وتفسير القاسمي (١/٤٠٠).

(١٧٨) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٤٩٨).

(١٧٩) انظر: نظم الدرر(٢ /١٦٣).

(١٨٠) انظر: تفسير ابن كثير(١/ ٣١٨).

(١٨١) انظر: تفسير ابن كثير(١/٤٤٥)، والعقد الثمين لابن غنام(ص٣٥).

(١٨٢) انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٢/ ١٠٣).

الأولى: قوله:﴿لَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ لفظ الاصطفاء مشتق من الصفوة[١٨٣]، ومعناه: اخترناه واجتبيناه من بين سائر الخلق بالنبوة والرسالة والإمامة وحصرِ النبوة والكتاب من بعده في ذريته عليهم السلام، واتخاذه خليلا، وبناء بيته الذي جعله قياما للناس ومثابة وأمنا وعهد إليه ولابنه تبعا له تطهيره للطائفين والعاكفين والركع والسجود، وأَمَر سبحانه المؤمنين باتخاذ مقامه مصلى، ووفقه للأعمال التي صار بها من المصطفين الأخيار[١٨٤].

قال الطبري: « وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن أن من خالف إبراهيم فيما سن لمن بعده فهو لله مخالف، وإعلام منه خلقه أن من خالف ما جاء به محمد ﷺ فهو لإبراهيم مخالف؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه اصطفاه لخلته، وجعله للناس إماماً، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الإمام الذي نصبه الله لعباده»[١٨٥].

الثانية: قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة:١٣٠]، والصالح من بني آدم هو المؤدي حقوق الله عليه[١٨٦]، أي: وإن إبراهيم في الدار الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم لنفسه ولخلقه ، وهم الفائزون في الآخرة، وهم أهل الجنة [١٨٧].

فأخبر تعالى ذكره عن إبراهيم خليله أنه في الدنيا له صفي، وفي الآخرة ولي، وإنه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده[١٨٨]، فمن كان من صفوة عباد الله في الدنيا مشهوداً له بالفوز والصلاح يوم القيامة فهو حقيق بالإمامة، لعلو رتبته عند الله تعالى في الدارين، ففي ذلك أعظم ترغيب في اتباع دينه والاهتداء بهديه، وأشد ذم لمن خالفه ،

---

(١٨٣) انظر: معاني القرآن، للزجاج(١/٢١٠).

(١٨٤) انظر: انظر: تفسير مقاتل(١/١٣٩)، وتفسير الطبري (٢/٥٨٠)،ومعاني القرآن، للزجاج(١/٢١٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/١٧٩)، وتفسير السعدي(ص٦٦).

(١٨٥) تفسير الطبري(٢/٥٨٠).

(١٨٦)انظر: المصدر السابق (٢/٥٨٠).

(١٨٧) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢١١)، و تفسير ابن أبي زمنين(١/١٧٩)، تفسير العثيمين(١/٣١٢).

(١٨٨) انظر: تفسير الطبري(٢/٥٨٠).

إذ كيف يَطلب أحد أفضل من ملته والله سبحانه هو الذي اصطفاه ووعده في الآخرة ما وعده بسبب طريقته وملته[١٨٩].

الثالثة:﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١]، قوله:﴿إِذْ﴾ ظرف متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ [البقرة:١٣٠]، أي: ولقد اصطفيناه إذ قال له ربه أسلم[١٩٠]، فأثنى الله عليه في هذه الآية بوصفه بما يبين سبب اصطفائه له، فذكر وصفين:

١. استجابته التامة وانقياده الكامل لله جل جلاله، وذلك أنه لما ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي: أخلص دينك وعبادتك، واستقم على الإسلام، واثبت عليه لأنه كان مسلماً ، فأمره الله بالإخلاص له والاستسلام والانقياد [١٩١]، ظاهراً وباطناً فانقاد لأمر الله ولم يتردد ولم يستكبر، بل استجاب وأقر، لأنه مربوب لرب العالمين[١٩٢] فقال:

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أخلصت العبادة وخضعت بالطاعة، لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره[١٩٣].

٢. إسلامه عليه السلام، والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه واختاره وبعث به الأولين والآخرين من

---

(١٨٩) انظر: الدرر السنية، ضمن تفسير محمد بن عبد الوهاب(١٢/ ١٠٣)، و تفسير القاسمي (١/ ٤٠١).

(١٩٠) ويحتمل أن يتعلق بمحذوف هو: اذكر، والتقدير: اذكر إذ قال له ربه؛ فيكون أمراً للرسول ﷺ أن ينوه بهذه الحال التي كان إبراهيم عليه السلام عليها. انظر: تفسير الشوكاني(١/ ١٦٨)، وتفسير العثيمين(٢/٧٢)، وقد اقتصر الزجاج على أنه متعلق بالاصطفاء المذكور في الآية السابقة، قال: « معناه اصطفاه إذ قال له ربه أسلم: أي في ذلك الوقت يُبَيِّنُ [البقرة:١٣١]» معاني القرآن (١/ ٢١٠).

(١٩١) انظر: تفسير مقاتل(١/١٣٩)، وتفسير الطبري(٢/٥٨٠)، وتفسير ابن أبي زمنين(١/١٧٩)، وتفسير البغوي، (١/١٥٣)، وتفسير ابن كثير(١/٤٤٦).

(١٩٢) نظر: تفسير العثيمين(١/٣١١).

(١٩٣) انظر: تفسير مقاتل(١/١٣٩)، وتفسير الطبري(٢/٥٨٠).

الرسل فلا يقبل من أحد دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين[١٩٤] لذلك كان الإسلام قوام الملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام التي أَمَر الله الناس باتباعها، وفي هذا تعريض باليهود والنصارى الذين رغبوا عن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ مع علمهم بأن ملته هي ملة أبيه إبراهيم عليه السلام.

قال محمد بن عبد الوهاب في استنباطاته على هذه الآية:« أنه بيّن أن ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، ومنه تعظيم البيت وحجه، ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك؛ يرغبون عنه»[١٩٥].

ثم شرع ببيان تكميل إبراهيم عليه السلام لغيره، إثر بيان كماله في نفسه[١٩٦]، فقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فأخبر الله أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بملته التي هي الإسلام ومن جملتها كلمته التي قالها عليه السلام وهي: ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١][١٩٧]، وأكد هذه الوصية بقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله:﴿وَوَصَّىٰ﴾ من التوصية وفيه معنى التكثير[١٩٨] والمبالغة. ومعناه: أوصى إبراهيم بنيه، وأوصى يعقوب بنيه[١٩٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وصَّاهم بالإسلام، ووصَّى يعقوب بنيه مثل ذلك»[٢٠٠] ، وروي عن الحسن

---

(١٩٤) انظر: تفسير مقاتل(١/٤٥٣)، ومجموع الفتاوى(١/١٨٨)، والجواب الصحيح(١/٨١)، انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٢/ ١٠٣).

(١٩٥) انظر: انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٢/ ١٠٣).

(١٩٦) انظر: تفسير القاسمي(١/٤٠٢).

(١٩٧) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني(١/٣١٩)، وتفسير ابن كثير(١/٤٤٦) وتفسير العثيمين(١/٣١٢).

(١٩٨)انظر: إعراب القرآن للنحاس(١/٧٩)، وتفسير السمعاني(١/١٤٢).

(١٩٩) انظر: تفسير السمعاني(١/١٤٢).

(٢٠٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٥٨٢).

وقتادة نحو ذلك[٢٠١].

فتضمنت وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام:

١. الأمر بالدين الذي اختاره الله لهم رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وهو الإسلام[٢٠٢]، وهو ملة إبراهيم عليه السلام الذي أَمَر به نبيه محمداً ﷺ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له[٢٠٣].

قال مقاتل: «يعني: اختار لكم الدين، يعني: دين الإسلام»[٢٠٤].

٢. والوصية بالثبات عليه حتى الممات فقالا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، ومعناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون[٢٠٥]، وذلك أن أحداً لا يدري متى تأتيه منيته، فلا تفارقوا الإسلام فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذي اصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا[٢٠٦].

روى ابن أبي حاتم عن طاووس قال: «﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، على الإسلام وعلى ذمة الإسلام»[٢٠٧].

وقال محمد بن عبد الوهاب: «فحرضهم على لزوم ذلك إلى الممات وعدم الزيادة عليه، لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة خصوصا مع طول الأمل»[٢٠٨].

---

(٢٠١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٣٩).

(٢٠٢) انظر: تفسير مقاتل(١/ ١٣٩)، وتفسير الثعلبي(٤/١٤٣)، وتفسير ابن أبي زمنين(١/١٨٠).

(٢٠٣) انظر: تفسير الطبري(٢/ ٥٨٢).

(٢٠٤) تفسير مقاتل(١/ ١٣٩).

(٢٠٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٥٤).

(٢٠٦) انظر: تفسير الطبري (٢/٥٨٥).

(٢٠٧) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٣٩).

(٢٠٨) تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (١٢/ ١٠٤).

فدلت هذه الآية على أهمية العناية بهذه الوصية؛ اقتداءً بإبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وهي خبر يتضمن أَمْر جميع الناس بملة إبراهيم عليه السلام، وذلك أن إبراهيم أبو العرب والإسرائيليين، ويعقوب أبو الإسرائيليين، فأنتم يا بني يعقوب يا من رغبتم عن ملة إبراهيم قد وصاكم أبوكم بهذا على الخصوص، كما في هذه الآية والآية بعدها، عند قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٣]، فيجب عليكم كمال الانقياد، واتباع ملة إبراهيم وهي ما جاء به خاتم الأنبياء محمد ﷺ فقوموا به واتصفوا بشرائعه وانصبغوا بأخلاقه، حتى لا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه[٢٠٩].

(٢٠٩) انظر: تفسير السعدي(ص٦٦)، وتفسير العثيمين(١/٣١٣).

المبحث الثامن

الحُكمُ بالهدى لمن اتبع ملة إبراهيم، وبالشقاق لمن تولى عنها

وذلك فيما أخبر الله به عن اليهود والنصارى في سورة البقرة وجدالهم للمسلمين وما رد الله به أباطيلهم وشبهاتهم، ومنها ادعاؤهم بأن الهداية في اتباعهم، فأجيبوا عن هذه الدعوى بقوله: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]، فاحتج الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها[٢١٠]، فهذا الجواب مع اختصاره قد تضمن المنع والمعارضة، أما المنع: فما تضمنه حرف ﴿بَلۡ﴾ من الإضراب، أي: ليس الأمر كما قالوا، وأما المعارضة: ففي قوله: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا﴾ أي: اتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً.

وفي ضمن هذه المعارضة إقامة الحجة على أنها أولى بالصواب مما دعوتم إليه من اليهودية والنصرانية، لأنه وصف صاحب الملة بوصفين[٢١١]:

الأول: بأنه: ﴿حَنِيفٗا﴾ أي: مخلصاً مستقيماً[٢١٢]، مائلا عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[٢١٣]، فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية[٢١٤].

الثاني: وأنه: ﴿مَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: أي إنه لم يكن ممن يشرك بالله أي نوع من الشرك، ولا كان من اليهود ولا من النصارى[٢١٥]، بل كان حنيفاً مسلماً، بريئا من الشرك وأهله، فنفى الله عنه وصف الشرك فيما مضى

---

(٢١٠) انظر: تفسير الطبري (٢/٥٩٠)، وتفسير الشوكاني(١/١٧٠).

(٢١١) انظر: بدائع الفوائد(٤/١٥٧٩).

(٢١٢) وتقدم تعريفه في المبحث الأول والسادس.

(٢١٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير الثعلبي(٤/١٥١)، وتفسير البغوي (١/١٥٥).

(٢١٤) انظر: تفسير السعدي (ص٦٦).

(٢١٥) انظر: تفسير مقاتل(١/١٤١)، وتفسير الطبري(٢/٥٩٥).

وفيما يستقبل فقال:﴿مَا كَانَ﴾ ، كما نفى عنه جميع أنواع الشرك فقال: ﴿مَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فعم جميع أنواع الشرك[٢١٦]، الأصغر والأكبر والظاهر والخفي، وفي هذا تعريض باليهود لقولهم: عزير ابن الله، وبالنصارى لقولهم: المسيح ابن الله، أي: أن إبراهيم ما كان على هذه الحالة التي أنتم عليها من الشرك بالله، فكيف تدَّعون عليه أنه كان على اليهودية أو النصرانية؟[٢١٧]، فمن كانت ملته الحنيفية والتوحيد، فهو أولى بالاتباع ممن ملته اليهودية والنصرانية، فإن الحنيفية والتوحيد هي دين جميع الأنبياء، الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وهو الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فمن كان عليها فهو المهتدي[٢١٨].

كما أن في الآية مقابلة الباطل بالحق، حيث قابل دعوة اليهود والنصارى للنبي ﷺ والمؤمنين لاتباع مللهم الباطلة، بدعوتهم إلى ملة الهدى والحق وهي ملة إبراهيم عليه السلام[٢١٩]، فقال: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ فإن الحنيفية تضمن الإقبال على الله بالعبادة والإجلال والتعظيم والمحبة والذل، والتوحيد يضمن إفراده بهذا الإقبال دون غيره، فيُعبد وحده، ويُحب وحده، ويُطاع وحده، ولا يجعل معه إله آخر، فمن أولى بالهداية؛ صاحب هذه الملة أو ملة اليهودية والنصرانية؟![٢٢٠].

فهذه الآية من جوامع الكلم، حيث أبطل بها دعواهم أنهم مهتدون وأنهم على ملة إبراهيم رغم اختصارها، فمن صدق قوله بالفعل اتبعه، وإلا فهو كاذب[٢٢١]، ثم أمر الله المؤمنين أن يجيبوا هؤلاء بقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

(٢١٦)انظر: تفسير العثيمين(١/٣١٨).

(٢١٧) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني(٢/ ٧٢٤)، وتفسير الشوكاني(١/١٧٠).

(٢١٨) انظر: بدائع الفوائد (٤/ ١٥٧٩).

(٢١٩) انظر: تفسير العثيمين(١/ ٣١٨).

(٢٢٠) انظر: بدائع الفوائد (٤/ ١٥٧٩).

(٢٢١) انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (٢/ ٤٨).

وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، وفيه إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة إليها، إذ هي أصل الدين وأساسه[٢٢٢]، والخطاب للرسول ﷺ، وأمته جميعا، والمراد بالقول هنا القول باللسان، وبالقلب؛ فالقول باللسان: نطقه، والقول بالقلب: اعتقاده[٢٢٣]؛ فأمر المؤمنين أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ والإيمان: هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، والقبول، من غير ريبة ولا شك[٢٢٤]، وهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية[٢٢٥]، فلا تصح معرفة القلب إلا مع الاعتقاد والقول و العمل، قال الأوزاعي: «لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه، وصدق بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدقه بعمله، لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين»[٢٢٦].

وقال الشافعي: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم؛ أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر»[٢٢٧].

---

(٢٢٢) انظر: تفسير السعدي(ص٦٧).

(٢٢٣) انظر: تفسير العثيمين(١/٣١٨).

(٢٢٤) انظر: تهذيب اللغة(١٥/٣٩٦-٣٧٠)، ومجموع الفتاوى(٧/١١٨- ٢٩١)، والتوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، لسليمان بن عبد الله (ص١٣٥).

(٢٢٥) اختلفت عبارات السلف في تعريف الإيمان اصطلاحا وجميع ما ورد عنهم يجتمع في هذا المعنى، قال الشافعي:«وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم؛ أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر». انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي(٥/ ٩٥٧) و(٢/٣٠١-٤١١)، والإبانة الكبرى(١/٣٥٥-٤٥٤،٣٥٧- ٥٤٥)، والحجة لقوام السنة(١/ ٤٣٧ – ٤٤٠)، وكتاب الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة، لعادل آل حمدان (١/٢٠).

(٢٢٦) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى(١/ ٦١٨).

(٢٢٧) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة(٥/٩٥٧).

وقد اشتملت هذه الآية رغم إيجازها واختصارها على جميع ما يجب الإيمان به[٢٢٨]، من ذلك أنه أمرهم:

١. بالإيمان بالله ويشمل الإيمان بربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته.

٢. والإيمان بجميع الكتب وأنها أنزلت من عند الله وأنها كلامه ﷻ أوحاه إلى رسله وما يستلزم ذلك من الإيمان بالملائكة.

٣. والإيمان بالقرآن والسنة وذلك في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وبما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مما يجب الإيمان به واعتقاده، وما أخبر عنه من الغيبيات الماضية والمستقبلة، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمْرِية، وأحكام الجزاء وغير ذلك[٢٢٩].

٤. والإيمان بجميع الرسل وبما أوتوه من الآيات الشرعية والكونية[٢٣٠] وتصديقهم وعدم التفريق بينهم فلا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، فاليهود والنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ قد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فكفروا بذلك برسولهم[٢٣١].

٥. وأمرهم بالإسلام بقوله: ﴿نَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهو: الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد، في غاية الذل والخضوع[٢٣٢]، أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته وطاعته باطنا وظاهرا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول وهو (له) على العامل وهو (مسلمون)[٢٣٣] لذلك فسرها مقاتل بقوله: «يعني: مخلصون»[٢٣٤]. وقد اجتمع في هذه الآية الأمر بالإيمان والإسلام، وقرر العلماء أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه

---

(٢٢٨) انظر: تفسير السعدي (ص٦٧).

(٢٢٩) انظر: المصدر السابق، وتفسير العثيمين(١/٣١٩).

(٢٣٠) انظر: تفسير العثيمين(١/٣٢٠).

(٢٣١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٥٦)، وتفسير السعدي (ص٦٧).

(٢٣٢) انظر: تيسير العزيز الحميد(ص٣٠).

(٢٣٣) انظر: تفسير السعدي (ص٦٧).

(٢٣٤) تفسير مقاتل(١/١٤١).

الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر، والتحقيق في الفرق بينهما إذا اقترنا أن الإيمان في القلب والإسلام ظاهر، فالإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام: هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل[٢٣٥].

قال محمد بن عبد الوهاب: «الإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان، كقوله:﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [آل عمران:٢٠]، وكذلك الإيمان إذا أفرد، كقوله في الجنة:﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١]، فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذكرا معا كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالإسلام: الأعمال الظاهرة، والإيمان: الأعمال الباطنة، كما في الحديث: ((الإسلام علانية، والإيمان في القلب))[٢٣٦]، وقوله سبحانه في الحديث: ((أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة ... إلخ))[٢٣٧] يوافق ما ذكرناه، فإن الإيمان أعلى من الإسلام، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصا كما في آية الحجرات، وفيها:﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات:١٤]، وحقيقة الأمر، أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا، وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه»[٢٣٨].

ثم شرط على اليهود والنصارى المدعين أن الهدى في اتباعهم شرطا ليكونوا صادقين في ادعائهم فقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(٢٣٥) انظر: مجموع الفتاوى(٥٥٣/٧)، وجامع العلوم والحكم (١٠٧/١).

(٢٣٦) رواه أحمد في مسنده برقم١٢٣٨١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٥٢/١): «ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين، وضعفه آخرون».

(٢٣٧) رواه الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم، باب آخر أهل النار خروجا، ح (٢٥٩٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٣٨) الدرر السنية(١٨٨/١).

ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، أي: فإن أتوا من الإيمان بمثل ما أتيتم به فهم على ملة إبراهيم وهم مهتدون، وإن لم يأتوا بإيمان مثل إيمانكم فليسوا من إبراهيم وملته في شيء وإنما هم في شقاق وعداوة، فإن ملة إبراهيم: الإيمان بالله وكتبه ورسله، وألا يفرق بين أحد منهم، فيؤمن ببعضهم ويكفر ببعضهم، فمن لم يأت بهذا الإيمان، فهو بريء بها من ملة إبراهيم، مشاق لمن هو على ملته(٢٣٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧]، يخاطب به الصحابة»(٢٤٠).

وفي رواية قال: «أخبر الله سبحانه أن الإيمان هو العروة الوثقى، وألا يقبل عملاً إلا به، ولا يحرم الجنة إلا على من تركه»(٢٤١).

وعن الربيع بن أنس قال: «ثم قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فقال: من تكلم بهذا صدقا من قلبه، يعني الإيمان، فقد اهتدى»(٢٤٢).

فعلق الله الاهتداء بالإيمان بمثل ما آمن به الرسول ﷺ وأمته، فإن آمن اليهود والنصارى بمثل الذي آمنوا به فقد اهتدوا والهدى هو العلم بالحق، والعمل به، وإن تولوا و أعرضوا فهم على ضلال عن العلم بالحق وضلال عن العمل به بعد العلم به، وهذا هو الشقاق الذي كانوا عليه لما تولوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاقة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها، بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول ﷺ، فلهذا وعد الله رسوله، أن يكفيه إياهم(٢٤٣) فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ، وهذا

(٢٣٩) انظر: بدائع الفوائد(٤/١٥٨١).
(٢٤٠) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله(ص٣٧٢).
(٢٤١) رواه الطبري (٢/٦٠٠)، وابن أبي حاتم(١/٢٤٤).
(٢٤٢) رواه ابن أبي حاتم، في تفسيره (١/٢٤٤).
(٢٤٣) انظر: تفسير السعدي(ص٦٨).

ضمان من الله ﷻ في النصر لنبيه ﷺ [٢٤٤] إما بقتل السيف وإما بجلاء عن جوارك، وغير ذلك من العقوبات، فإن الله هو السميع لما يقولون لك بألسنتهم ويبدون لك بأفواههم من الجهل والدعاء إلى الكفر والملل الضالة، العليم بما يبطنون لك ولأصحابك المؤمنين في أنفسهم من الحسد والبغضاء، ففعل الله بهم ذلك عاجلا وأنجز وعده فكفى نبيه ﷺ بتسليطه إياه عليهم، حتى قتل بعضهم وأجلى بعضا وأذل بعضا وأخزاه بالجزية والصغار[٢٤٥].

قال مقاتل: « ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، يعني في ضلال واختلاف، نظيرها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة:١٧٦]، يعني لفي ضلال واختلاف لأن اليهود كفروا بعيسى، ومحمد ﷺ، وبما جاءا به، وكفرت النصارى بمحمد ﷺ وبما جاء به، فلما نزلت هذه الآية قرأها النبي ﷺ على اليهود والنصارى، فقال: إن اللهﷻ أمرني أن أوصي بهذه الآية، فإن انتم آمنتم يعني: صدقتم بالنبيﷺ والكتاب، فقد اهتديتم وإن توليتم وأبيتم عن الإيمان فإنما أنتم في شقاق، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى ﷺ قالوا: لا نؤمن بعيسى، وقالت النصارى: وعيسى بمنزلتهم مع الأنبياء، ولكنه ولد الله. يقول: إن أبوا أن يؤمنوا بمثل ما آمنتم به ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يا محمد يعني أهل الكتاب ففعل اللهﷻ ذلك فقتل أهل قريظة، وأجلى بني النضير من المدينة إلى الشام، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لقولهم للمؤمنين: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة:١٣٥]»[٢٤٦].

فتبين بهذه الآيات ما فيه غاية إنصاف الخصم، فبعد أن بين لهم ما به يهتدون، وأمرهم بالإيمان بمثل ما آمن به الرسول ﷺ وأمته؛ أخبرهم بأن من لا ينقاد له فليس داؤه داء جهالة، بل مشاقة، وتوعدهم بكفاية الله لنبيه ﷺ ونصرته، فلما أصروا على ما هم عليه من المنازعة والضلالة والمشاقة كانوا سببا في انتقام الله منهم[٢٤٧] .

فدل ذلك على أن الهدى الذي أمر الله به، ورتب عليه نجاتهم من عقوبته؛ هو اتباع الحنيفية السمحة، ملة

---

(٢٤٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢١٤/١)، تفسير ابن كثير(٤٥٠/١).

(٢٤٥) انظر: الطبري في تفسيره (٦٠٢/٢).

(٢٤٦) تفسير مقاتل(١٤٢/١).

(٢٤٧) انظر: تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن الدرر السنية (٥٠/٢).

إبراهيم التي آمن بها محمد ﷺ ودعا إليها كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺسئل: أي الأديان أحب إلى الله ؟ قال: ((الحنيفية السمحة))[٢٤٨].

(٢٤٨) رواه أحمد في مسنده، برقم ٢١٠٧، والبخاري في صحيحه معلقا، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وإسناده صحيح لغيره، انظر: تحقيق المسند طبعة الرسالة (١٧/٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ثم الصلاة والسلام على خاتم النبوة والرسالات، وبعد: فقد خرج هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات أهمها الآتي:

١. ورد الأمر باتباع ملة إبراهيم في القرآن في ثمانية مواضع، وقد خوطب بالأمر بها جميع الناس من بعد إبراهيم، بالأمر الصريح تارة وبالقرينة الدالة على الأمر كالمدح والذم تارة أخرى.

٢. أن الله اختص إبراهيم بخير الملل وأفضلها وأكملها لأنه جعله إماما لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، فتميز المؤمنون من الكافرين باتباعها، فسمي المتبع لها من الناس حنيفا مسلما، وسمي الضال عنها بسائر أسماء الملل، فقيل: يهودي ونصراني ومجوسي، وغيرها.

٣. أن الله أَمَر النبي ﷺ وهو سيد الخلق وأكملهم وأفضلهم، باتباع ملة إبراهيم عليه السلام والاقتداء به هو وأمته؛ يعد من أعظم فضائل إبراهيم عليه السلام التي اختص بها.

٤. أن النبي ﷺ كان متعبدا بشريعة من كان قبله من الأنبياء، إلا ما ورد الدليل على نسخه وهذا ما عليه أهل السنة.

٥. أن الله اختار للنبي ﷺ وأمته ملة إبراهيم فأمرهم بلزومها واتباعها خاصة؛ لما تميزت به من خصال وصفات وخصائص وشعائر جعلتها خير الملل، اصطفاء لهذه الأمة التي خير الأمم، واعتناء بهم.

٦. أن أمْرَ النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم لا يعني أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ وذلك لأن النبي ﷺ قام بهذه الملة قياماً عظيماً، وأُكملت له إكمالاً تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ وزاد عليها أنواعاً عظاما من الهدى لم تنزل على إبراهيم عليه السلام ولم تكن في شرعه، فظهر بذلك فضل الرسول ﷺ على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٧. أن الله احتج بملة إبراهيم على أهل الكتاب في تكذيبهم لمحمد ﷺ وادعائهم أنهم أحق الناس به وأنهم أتباعه بحجج تبين بطلان ما ادعوه، وشرط عليهم أن يؤمنوا بمثل ما آمن به الرسول ﷺ وأمته ليكونوا صادقين في ادعائهم فإن امنوا بمثل الذي آمنوا به، فقد اهتدوا، وإن تولوا وأعرضوا فقد ضلوا ضلالا مبيناً.

٨. أن الله قسم الناس قسمين: سفيها لا أسفه منه، ورشيدا، فالسفيه: من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام إلى الشرك، والرشيد: من اتبعها وتبرأ من الشرك قولا وعملا وحالا، فكان قوله توحيدا، وعمله توحيدا، وحاله توحيدا، ودعوته إلى التوحيد، وبهذا أَمَر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم.

التوصيات:

يوصي هذا البحث بجمع خصال إبراهيم عليه السلام وما اختصه الله به في القرآن ودراستها دراسة تفسيرية تحليلية.

* * *

ثبت المراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق عادل آل حمدان، دار اللؤلؤة، لبنان، ط٢، ١٤٣٩هـ -٢٠١٨م.

٢- أحكام القرآن، بكر بن العلاء، تحقيق: سلمان الصمدي، دار جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

٣- الإخلاص والنية، عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، تحقيق: إياد الطباع، دار البشائر، ط١، ١٤١٣هـ.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥- إعراب القرآن، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد عزير، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٨- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٥هـ.

٩- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الكريم الدريني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٠- تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق عثمان ضميرية، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣١هـ.

١١- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، نشر عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٢- تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد بسيوني، جامعة طنطا، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٣- تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٦- تفسير القرآن الكريم، محمد صالح العثيمين، دار النجاح، الجيزة، مصر، ط١.

١٧- تفسير القرآن، منصور بن محمد أبو المظفر السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد بن عبد الله الهرري، تحقيق د. هاشم محمد، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٩- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٠- تفسير يحي بن سلام التيمي، تحقيق د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢١- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٢- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة محمد بن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٥- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٦- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، تحقيق اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٧- جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٨- جامع المسائل- المجموعة الخامسة، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٢٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٣٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، محمد بن الفضل، قوام السنة، تحقيق محمد المدخلي، دار الراية، الرياض، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٢- ذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد الهروي، تحقيق عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد عزير، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣١هـ.

٣٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٣٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق عادل آل حمدان، دار اللؤلؤة، لبنان، ط١، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

٣٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق زاهر

بلفقيه، دار عطاءات العلم، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.

٣٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٨- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق خالد السبت، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٥، ١٤٤١هـ -٢٠١٩م.

٣٩- العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، حسين بن غنّام، تحقيق محمد الهبدان، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٠- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٤١- غريب القرآن، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٣- قاعدة في المحبة، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٤٤- قرة عيون الموحدين، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عمر الأحمد، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٤٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٦- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٤٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٤٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق عدنان درويش،

ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٩- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٠- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمد بن عمر، أبو موسى المديني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، دار المدني، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥١- مجموع رسائل الحافظ خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق وائل زهران، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، جمع وترتيب د.محمد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ١٤٢١هـ.

٥٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ط٢، ١٤٤١هـ -٢٠١٩م.

٥٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٨- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٩- معاني القرآن، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق محمد الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٠- معاني القرآن، يحي الفراء، تحقيق أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية، مصر.

٦١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٦٢- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ.

٦٣- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٤- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م.

٦٥- النبوات، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٧- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد بن محمد القصاب، تحقيق علي التويجري، إبراهيم الجنيدل، شايع الأسمري دار القيم، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

* * *